مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

فِي التَّسْلِيْمِ القُرْآنِيِّ:

آيَاتُ اليَتِيْمِ دِرَاسَةٌ فِي التَّدَاوُلِيَّةِ المُدْمَجَةِ

ثائر عمران شدهان [1]

[1] جامعة القاسم الخضراء/ كُلِّيَّة التَّربية/ قسم اللُّغة العربيَّة، العراق؛

their.umran@uoqasim.edu.iq

ماجستير في اللغة العربية/ مدرس مساعد

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/١/٢٠	٢٠٢٥/٢/٢٧	٢٠٢٥/٣/٣١

المجلـــد (٢١) العـــدد (٣٣)
رَمَضَان ١٤٤٦هـ . آذار ٢٠٢٥ م

DOI:
10.55568/t.v21i33.1-27

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

هدف الدراسة الوقوف في الآيات القرآنيَّة المباركة التي ورد فيها ذكر لفظ (اليتيم)؛ لدراستها وفق مفهوم التداوليَّة المدمجة؛ للكشف عمَّا ورد فيها من معاني بالاعتماد على آليَّات التحليل الخطابيِّ للتداوليَّة المدمجة من الاهتمام بالسياق، والقصديَّة، والمقول، والحجاج، ولمَّا كانت التداوليَّة المدمجة تمحورت حول إدماج القضايا التداوليَّة في صميم البحث الدلاليِّ، وذلك من خلال التركيز على دراسة البنية الداخليَّة للغة، وما يتولَّد من ذلك الاستعمال عن هذه البنية من دلالات تختلف باختلاف السياق الكلاميِّ اعتمدها البحث منهجًا لتحليل الآيات المباركة فكان لها أثر كبير في الكشف عن معاني الخطاب في الآيات المباركة ما كان منها ظاهراً أو مضمراً بواسطة الاعتماد على قصد المتكلِّم ومقوله وحجاجه.

الكلمات المفتاحية: اليتيم، التداوليَّة المدمجة، الحجاج، القصديَّة، المقول.

Orphan Ayats : Study on Integrated Pragmatics

Thaer Omran Shadhan [1]

1 Al-Qasim Green University/ College of Education/ Department of Arabic Language, Iraq;

their.umran@uoqasim.edu.iq

MA in Arabic Language/Assistant Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
20/1/2025	27/2/2025	31/3/2025

DOI: 10.55568/t.v21i33.1-27 | Volume (**21**) Issue (**33**) | Ramadhan 1446 AH March 2025 AD

Abstract:

The current study investigates the Quranic ayats that contain the term "orphan," and analyzes them under the lens of integrated pragmatics to uncover their implicit meanings using discourse analysis tools—specifically context, intentionality, proposition, and argumentation. Integrated Pragmatics lays emphasis on pragmatic issues , internal structure and the context-dependent meanings generated through its use. This study adopts this framework for analyzing the ayats , which proved effective in revealing both explicit and implicit meanings in the Quranic discourse by examining the speaker from the perspectives of intent , propositions, and argumentation .

keywords:orphan, integrated pragmatics, argumentation, intentionality, the utterable.

المقدَّمة:

يتناول البحث الموسوم بـ(آيات اليتيم دراسة في التداوليَّة المدمجة)، الآيات القرآنيَّة المباركة التي ورد فيها ذكر لفظ (اليتيم) وفق المنظور التداوليِّ المدمج في الدلالة (التداوليَّة المدمجة في الدلالة) محاولة الكشف عن أهمِّيَّة اليتيم والحقوق الواجب الالتزام بها تجاهه، ومقتضى الأمر أنَّ المتلقِّي حينما يسمع لفظة(آيات) يتبادر إلى ذهنه مباشرة (آيات القران الكريم) من دون الحاجة إلى التوضيح؛ لذلك وسم العنوان مباشرة بهذا الاسم من دون ذكر عبارة في القرآن الكريم.

تُعَدُّ حالة اليتم محنة من أصعب المحن التي يتعرَّض لها الناس، ففضلًا عن الحرمان النفسيِّ يتعرَّض للحرمان المادِّيِّ أيضاً، وبذلك يصبح محتاجًا إلى رعاية ودعم من المجتمع للمساعدة في تلبية الحاجات الجسديَّة والنفسيَّة، وقد قسَّم البحث على تمهيد ومبحثين تناول في التمهيد مفهوم اليتيم في اللغة والاصطلاح بصورة مختصرة ، والمبحث الأوَّل التداوليَّة المدمجة مفهومها وركائزها، والمبحث الثاني دراسة تطبيقيَّة، وختم البحث بأهمِّ النتائج التي توصَّل إليها البحث.

التمهيد: مفهوم اليتيم لغة واصطلاحًا:

اليتيم لغة: كلُّ من مات أبوه حتَّى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه ذلك الوصف[١] [٢]، وأصل اليتم الغفلة، وبه سُمِّيَ اليتيم يتيمًا؛ لأنَّه يُتغافل عن برِّه، واليتم الإبطاء أيضًا، ومنه أُخذ اليتيم لأنَّ البرَّ يبطئ عنه[٤].

اليتيم في الاصطلاح: إنَّ مفهوم اليتيم شرعًا يصدق على من لم يبلغ سنَّ التكليف الشرعيِّ أي إكمال تسع سنين قمريَّة عن الإناث, وخمس عشرة سنة قمريَّة عند الذكور، أو نبات الشعر الخشن في الوجه، أو خروج المني[٥]، وقيل هو الصغير الذي فقد أباه وهو ما يزال دون سن البلوغ والحلم[٦].

وقد سُمِّيَ بهذا الاسم؛ لعدم وجود الاعتناء الذي يلاقيه من فقد كفيله وهو بعمره الصغير حيث صرح بمثل ذلك من تضلَّع بتتبع هذا النوع من المصطلحات، يقول المفضَّل: أصل اليتم الغفلة، وبه سُمِّيَ اليتيم يتيمًا لأنَّه يُتغافل عن برِّه، قال أبو عمر اليتم: الإبطال، ومنه أخذ اليتيم لأنَّ البرَّ يبطئ عنه[٧].

١ ابن فارس, حمد. مقاييس اللغة, تحقيق. عبد السلام هارون (دار الفكر, ١٩٧٩), ٦/ ١٤٥.
٢ ابن منظور, لسان العرب. دار صادر, (د.ت), ١٢/ ٦٤٥.
٣ الزبيدي, تاج العروس من جوهر القاموس, تحقيق. مجموعة من المختصين (الكويت, ١٩٦٥), ١٣/ ٣٤.
٤ القرطبي, أبو عبد الله. الجامع لأحكام القرآن بيروت: دار أحياء التراث العربي(د.ت.), ٢/ ١٤.
٥ أجوبة السيد السيستاني في باب أحكام اليتيم, النجف الأشرف: مكتب البيت العالمي للمعلومات.
٦ تسنيم محمد جمال, "حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي" (جامعة النجاح, ٢٠٠٧), ١٠.
٧ ابن منظور, لسان العرب, ١٥/ ٣٠٨.

المبحث الأوَّل: مفهوم التداوليَّة المدمجة:

دلالة المصطلح:

تُعَدُّ التداوليَّة المدمجة اتِّجاهًا جديدًا من اتِّجاهات التداوليَّة، ووجهًا من وجوهها المتعدِّدة، برزت على يد العالم اللُّغويِّ الفرنسيِّ أزفالد ديكرو((Ducrot وزميله جون كلود أنسكومبر ((Anscombre إذ أسَّسا لهذا النظريَّة انطلاقًا من نظريَّة الأفعال الكلاميَّة للفيلسوف البريطانيِّ جون أوست Austin التي ذكرها في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، وكذلك اعتمدا على كتاب جون سيرل- (Searle) أفعال الكلام-، وتعمل على معالجة تحليل مشكلات الاستعمال اللُّغويِّ بأبعاده المختلفة، ويُعدُّ الاقتضاء مؤشِّرًا مهمًّا من مؤشِّرات انبثاقها، ومفهومه أنَّ المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفيَّة غير صريحة[٨]، وهي نظريَّة دلاليَّة تُدمج في الشفرة اللُّغويَّة اللِّسان بالمعنى السوسيريِّ(١٩٦٨) مظاهر عمليَّة القول[٩]، وتبحث في دلالات البنية اللُّغويَّة؛ لاستخراج الأشكال اللُّغويَّة ذات القيمة التداوليَّة؛ لضبط شروط استعمالها، وتقوم التداوليَّة المدمجة على فكرتين أساسيَّتين، الأوَّل الدفاع عن تصوُّرٍ لا وصفيٍّ للُّغة، إذ ترى أنَّ الأقوال لا تبلغ حالة الأشياء في الكون(وظيفتها التمثيليَّة(بل تبلغ أعمالًا لغويَّة كـ(الأمر، والوعد، والتمنِّي، والإخبار...)، والثاني الإحالة الانعكاسيَّة أو الإحالة الذاتيَّة للُّغة وهي أنَّ معنى قول ما هو صورة من عمليَّة إلقائه، بمعنى أن نفهم قولًا ما هو أن نفهم دواعي إلقائه[١٠].

والتداوليَّة المدمجة لا توجد إلَّا مدمجة في الدلالة، ولا يمكن فصل البعد الدلاليِّ عن البعد التداوليِّ؛ لأنَّ المعنى مرتبط بسياق التلفُّظ، ووظائف تخاطبيَّة محدَّدة، وأنَّ هذا النمط من التداوليَّة انطلق من اللِّسان لتحليل الخطاب، أي توسَّل ببعض مكونات اللِّسان وذلك من خلال تحديد وظائفها الإنجازيَّة داخله، كالاعتماد على المعجم، والتركيب في تحديد بعض الخصائص التداوليَّة في بعدها الإنشائيِّ التي يحدثها كلُّ واحد منهما داخل التركيب وخاصَّة ما تعلَّق منه بجوانب الإقناع والتأثير، فالتداوليَّة المدمجة في هذا التصوُّر تحاول أن تجمع ما بين معرفة اللسان وطريقة تحليله،

٨ آن ريبول وجاك موشلار, التداولية اليوم علم جديد في التواصل, ترجمة. محمد دغفوس, سيف الدين الشيباني (بيروت: المنظمة العربية للترجمة, ٢٠٠٣), ٤٧.

٩ جاك موشلار وآن ريبول, القاموس الموسوعي للتداولية, ترجمة. مجموعة من الباحثين إشراف عز الدين مجدوب (تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة, ٢٠١٠), ٨٣.

١٠ ريبول, ٣٥.

أو بطريقة أخرى هي محاولة للربط بين اللِّسانيَّات والتداوليَّة؛ لأنَّها تقوم على الجمع بين مكوِّنين: أحدهما لغويٌّ والآخر سياقيٌّ، فأمَّا المكوَّن اللُّغويُّ يعمل على المعلومات التي تأتي بواسطة التحليل اللُّغويِّ للجملة(التراكيب)، وهذا التحليل من شأنه أن يؤدِّي إلى ناتج دلاليٍّ يمثِّل مخرجات التحليل اللُّغويِّ، وأمَّا في المكوِّن السياقيِّ فيقوم على المعلومات غير اللُّغويَّة التي تأتي من السياقات الخارجيَّة والظروف المحيطة بالخطاب، ومن التقاء النتائج الدلاليَّة التي هي مخرجات التحليل اللُّغويِّ، مع النتيجة المقاميَّة ودمجهما معًا يتولَّد معنى القول[١١].

وقد سعت التداوليَّة المدمجة إلى ترسيخ دعامتين رئيستين: الأولى حصر دراسة الجوانب التداوليَّة في اللُّغة ذاتها والأخرى حصر الحجاج داخل أبنية اللُّغة؛ نظرًا لما تتَّصف به هذه الأخيرة من وظائف حجاجيَّة متنوِّعة تسمح بتوصيل رسالة معينة، ومحدَّدة إلى المتلقِّي، فالتداوليَّة المدمجة في الدلالة هي بحث في الجوانب التداوليَّة المسجَّلة في بنية اللُّغة ودلالة الجملة؛ لاستخراج الأشكال اللُّغويَّة ذات القيمة التداوليَّة لا القيمة الوصفيَّة التمثيليَّة أي ما يعبِّر عن حالة الأشياء في الكون؛ لضبط شروط استعمالها، كما أشرنا إذن فالموقف المبدئيُّ للتداوليَّة المدمجة هو أنَّ اللُّغة تحقِّق أعمالاً لغويَّة، وليست وصفًا لحالة الأشياء في الكون وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عمليَّة القول لا عن الكون.

ويذهب الدكتور أبو بكر العزاويّ إلى أنَّ التداوليَّة المدمجة تقوم على فرضيَّة أنَّ التداوليَّات حاضرة في كلِّ المستويات اللُّغويَّة، أي أنَّه مؤشِّر لها في بنية اللُّغة، فهي حاضرة في الدلالة، والتركيب، والصوت، والصرف، والمعجم... فهي عنده منهجًا تحليليًّا للخطاب، تقوم على دراسة البنية(المستويات اللُّغويَّة) والوظيفيَّة، ثُمَّ ربط هذه البنية بالوظيفيَّة، وبيان كيف أنَّ التداوليَّة مدمجة في البنية، والخطاب، وهي المنظِّمة للخطاب، والمحدِّدة لأغراضه، وأهدافه التواصليَّة، والحجاجيَّة، والإقناعيَّة.

و يمثِّل السياق في التداوليَّة مفهومًا إجرائيًّا مركزيًّا يساعد على تحليل الخطاب، فما ذكره جرايز من شروط لصحَّة العمليَّة التخاطبيَّة التي تقوم على عمليَّة التفاعل الحواريِّ المتَّكئ على مبدأ التعاون بين المتكلِّم والمخاطب، والذي يستند إلى مرجعيَّات عدَّة: اجتماعيَّة، وعرقيَّة، وثقافيَّة، تحاول تشكيل سياق يمكن أن يمثِّل نصًّا مرافقًا، يسهم في إنتاج المعنى المراد من الحوار تحديده.

١١ الراضي, رشيد .المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية, ط١ (الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي, ٢٠١٤), ٧٩.

تقنيَّات التداوليَّات المدمجة:

انبثقت التداوليَّة المدمجة التي ثبت دعائمها أوزفيلد ديكروا كما أسلفنا وهي ترتكز على مؤشِّرات عدَّة يستطيع الباحث من خلالها تحليل الخطاب وفق ما تمتلكه هذه النظريَّة من دعائم وركائز تؤدِّي إلى تحليل النَّصِّ تحليلًا مكتملًا من خلال ربط الاتِّجاه الداخليِّ للبنية اللُّغويَّة، والاتِّجاه الخارجيِّ المتمثِّل بالسياق:

أوَّلًا: الحجاج:

ولد الحِجَاج من رحم التَّداوليَّة، ويُعدُّ مكوِّنًا رئيسًا من مكوِّنات البنيويَّة اللُّغويَّة للتداوليَّة المدمجة، ويشكِّل فضاءً أساسيًّا لحجاجيَّة اللُّغة لديها[١٢]؛ لأنَّ ((ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقيِّ، وإنَّما هو ترابط حجاجيٌّ؛ لأنَّه مسجَّل في أبنية اللُّغة))[١٣] ، ويرى ديكرو أنَّ موضوع البحث فيهاليس ليس الحجاج بالمعنى العاديّ، وإنَّما الحجاج بالمعنى الفنِّيِّ، ويقصد به أنَّ الخطاب بالمعنى الفنِّيِّ صنفًا مخصوصًا من العلاقات بين المضامين الدَّلاليَّة تتحقَّق في الخطاب وتكون مسجَّلة في اللِّسان، وتتميَّز العلاقة الحجاجيَّة بكونها دَرَجيَّة أي أنَّها تربط سلالم[١٤]، وهذه السلالم تُضاف إلى الروابط، والعوامل، والمواضع؛ لتشكِّل آليَّات البحث للتداوليَّة المدمجة، ووسائله، وتقنيَّاته[١٥]، وموضوع البحث فيها هو بيان الدلالة التداوليَّة(لا الخبريَّة الوصفيَّة) المسجَّلة في أبنية اللُّغة وتوضيح شروط استعمالها الممكن[١٦]، أي إنَّ البحث فيها يكون في الجزء التداوليِّ المدمج في الدلالة، وموضوع الحجاج في اللُّغة هو بيان ما يتضمَّنه القول من قوَّة حجاجيَّة تمثِّل مكوِّنًا أساسيًّا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلِّم في اللَّحظة التي يتكلَّم فيها يوجِّه قوله وجهة حجاجيَّة ما نظرية الحجاج في اللُّغة[١٧]، فالحجاج وفق هذه النظريَّة يستند إلى المعطيات اللُّغويَّة وهي((كل الصيغ التي تظهر في البنى اللُّغويَّة، وينظر إليها لا فيما تقدِّمه من محتويات خبريَّة، ولكن فيما تنشئه من أفعال

١٢ حامد, سعيد فراغلي. "تحليل آيات الترغيب في الإيمان بالله في ضوء التداولية المدمجة" مجلة كلية الآداب, ٢٠٢٢, ٦٠٦.

١٣ المبخوث, شكري . نظرية الحجاج في اللغة,بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, إشراف. صمود, حمادي, تونس: منشورات كلية الآداب منوبة(د.ت.), ٣٥٢.

١٤ ريبول, القاموس الموسوعي للتداولية, ٩٢.

١٥ حامد, "تحليل آيات الترغيب في الإيمان بالله في ضوء التداولية المدمجة," ٦٠٥.

١٦ المبخوث, نظرية الحجاج في اللغة,بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم, ٣٥١.

١٧ المبخوث, ٣٥٢.

كلاميَّة، فهذه البنى ليست لوصف الوقائع وتمثيله فقط، بل لأحداث تغيير فيه))[١٨]، إذ يحاول المتكلِّم وفق هذه المنظور التأثير في المتلقِّي والعلاقة بينهما علاقة تأثيريَّة وليست إخباريَّة.

إذن فالحِجَاج نظريَّة لسانيَّة كامنة في اللُّغة بلحاظه ظاهرة لغويَّة، فهو فعل لغويٌّ ووظيفة أساسيَّة للغة الطبيعيَّة أنَّ اللُّغة تحمل بصفة ذاتيَّة وجوهريَّة وظيفة حجاجيَّة بقصد التأثير والإقناع[١٩]، وهو ينطلق في أبحاثه من مبدأ عامٍّ هو: لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل فالحجاج كما يؤكِّد الأستاذ أبو بكر العزاويِّ هو تقديم الحجج والأدلَّة المؤدِّية إلى نتيجة معيَّنة، وهو يتمثَّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيَّة داخل الخطاب، وبعبارة أخرى: يتمثَّل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللُّغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها[٢٠].

تقنيَّات الحجاج اللُّغويِّ:

أوَّلًا: الروابط الحجاجيَّة: يعرِّف موشلر وروبول الروابط الحجاجيَّة بأنَّها:)) عبارة عن علاقات لسانيَّة تربط بين غرضين لغويين داخل القولة نفسها))[٢١]. فهي تربط بين قولين أو بين حجَّتين (أو أكثر), وتسند إلى كلِّ قول دورًا محددًا داخل الإستراتيجيَّة الحجاجيَّة العامَّة[٢٢]، وهذه الروابط تختلف بحسب التوجُّه الحجاجي الخاصّ بها، فمنها ما يربط بين حجَّيتين أو أكثر تؤدِّي إلى النتيجة نفسها وتسمَّى (روابط التساند الحجاجيّ)، ومنها ما يربط بين حجَّتين أو أكثر وكلٌّ منهما يؤدِّي إلى نتيجة معارضة للأخرى فتسمَّى(روابط التعارض الحجاجيّ).

ثانياً: العامل الحجاجيّ: العوامل الحِجَاجيَّة: ((عناصر لغويَّة تنتظمها غاية واحدة, وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عمليَّة التواصل))[٢٣] فالعامل الحِجَاجيّ إذا دخل في الخطاب أسهم في تقليص الإمكانات الحِجَاجيَّة للكلام , وزاد من طاقته الحِجَاجيَّة في التوجُّه نحو نتيجة حِجَاجيَّة ما[٢٤].

---

١٨ اجعيط, نور الدين. الوظائف التداولية للخطاب السياسي وأبعادها الحجاجية إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث, (٢٠١٦), ١٢٧.
١٩ العزاوي, أبو بكر. اللغة والحجاج الأزبكية: منتدى سور(د.ت.), ٢١.
٢٠ العزاوي, أبو بكر. من المنطق إلى الحجاج إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث, (٢٠١٦), ٢٣.
٢١ "الاستدلال الحِجَاجي وآليات اشتغاله," مجلة عالم الفكر, العدد٢١٢٧. ٤٠ (٢٠١٢):.
٢٢ العزاوي, اللغة والحجاج, ٢٥.
٢٣ النّاصح, عزّ الدّين. العوامل الحِجَاجية في اللغة العربية, ط١ تونس_صفاقس: دار نهى, مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر, (٢٠١١),
٢٤ حنون, عايد جدوع. الحِجَاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام, ط١, الإصدا العتبة الحسينية المقدسة: مؤسسة وارث الأنبياء, (٢٠١٧), ٧٥.

ثالثًا: السلالم الحجاجيَّة: إنَّ مفهوم السُّلَّم الحِجَاجيّ في الخطاب يرتكز على مبدأ التدرُّج في توجيه الحجج ؛ ليبين أنَّ الحِجَاج اللُّغويَّ لا يرتبط بالمحتوى, وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدَّد, بل يرتبط بالقوَّة والضعف اللَّذَين ينفيان عنهما الخضوع لمنطق الصدق والكذب.

ثانيًا: القصديَّة:

ذهب الفيلسوف الفرنسيّ جون سيرل إلى أنَّ مفهوم القصديَّة هو((صفة للحالات العقليَّة والحوادث التي يتمُّ بها التوجُّه إلى موضوعات العالم الخارجيّ وأحواله أو الإشارة إليها))[٢٥]، ولا يكتفي سيرل بذلك فقد أسهب في الحديث عنها وأوَّلاها اهتمامًا، إذ يرى أنَّه لا يجب أن نكتفي بالسياق الخاصِّ بإنتاج النصِّ في إظهار الدلالة، ولا بتحليل البنى التركيبيَّة له، بل لا بدَّ من الوقوف على مقاصد المتكلِّم، إذ يجب أن يكون للمتكلِّم قصد الدلالة على شيء ما[٢٦]، فالقصديَّة أحد المقوِّمات الأساسيَّة للنَّصِّ، بوصفه أنَّ لكلِّ متكلِّم غاية يسعى للوصول إليها، أو نيَّة يريد تجسيدها، إذ إنَّ كلَّ فعل كلاميٍّ يفترض فيه وجود نيَّة التوصيل، والإبلاغ، فالمتكلِّم لا يتكلَّم إلَّا إذا كان لكلامه قصدًا[٢٧]، فالأصل في الكلام القصد[٢٨].

وإنَّ فكرة القصد قديمة في التراث العربي إذ أشار الجرجانيّ لها بقوله: ((ممَّا يعلم ببدائه المعقول أنَّ الناس إنَّما يكلِّم بعضهم بعضًا ليعرف السامع غرض المتكلِّم ومقصوده))[٢٩]، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أنَّ معرفة مقاصد المتكلِّم ضرورة للتفاهم ((كيف وقد أجمع العقلاء على أنَّ العلم بمقاصد الناس في محاوراتهم علم ضرورة؟))[٣٠]. فالسامع إن لم يعلم ضرورة قصد المتكلِّم انتفى التفاهم بينهما.

---

٢٥ جون سيرل, القصدية (بحث في فلسفة العقل), ترجمة. أحمد الأنصاري لبنان: دار الكتاب العربي, (٢٠٠٩), ٢٢.

٢٦ Jaques Moeshler.Anne Reboul, *Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique* Paris: Ed Le seuil, (n.d),٦٧.

٢٧ الصبيحي, محمد الأخضر .مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه, ط١ الجزائر: الدار العربية للعلوم, (٢٠٠٨), ٩٦.

٢٨ عبدالرحمن, طه . اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي, ط١ بيروت-لبنان: المركز الثقافي العربي, (١٩٩٨),١٠.

٢٩ عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز, تحقيق. محمود شاكر أبو فهر (مطبعة المدني بالقاهرة, ١٩٩٢), ٣٥٠.

٣٠ الجرجاني, ٣٥٠.

ثالثاً: المقول:

يُعَدُّ القول من الركائز الأساسيَّة التي تعتمد عليها التداوليَّات المدمجة وهو((ما يرافق جملة تتمِّمها المعلومات التي تستخرجها من المقام الذي تلقى فيه، فالقول إذن نتاج إلقاء جملة ما))[٣١]، وورد في التداوليَّات المدمجة تعريف القول بصيغة فعل القول حيث يعرِّفونه في كثير من المواضع بحسب تصوُّره ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحويٍّ سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغويَّة فرعيَّة، وهي المستويات اللِّسانيَّة المعهودة: المستوى الصوتيّ، المستوى التركيبيّ، المستوى الدلاليّ[٣٢]، وميَّز أوستين Austin بين الأقوال الخبريَّة والأقوال الإنشائيَّة وذلك كالآتي[٣٣]:

الأقوال الخبريَّة: هي أخبار تتمثَّل مهمَّتها في وصف الظواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون وتحتمل هذه الأقوال الصدق أو الكذب.

أمَّا الأقوال الإنشائيَّة: فليس لها قيمة الحقيقة، إذ نستعملها لنصنع شيئًا ما، لا لنقول إنَّ شيئًا ما صادق أو كاذب.

ويقال حول إلقاء القول: ((لا شكَّ أنَّ اكتشاف دور النشاط القوليّ في البنية اللُّغويَّة هو أهمُّ اكتشاف بالنسبة إلى التداوليَّة))[٣٤]. إذ إنَّ تأويل الأقوال، وفهم مقاصد المتكلِّم، يبدأ من تحديد دلالة الجملة، بوصفها بنية لغويَّة ثابتة بحسب ما ذهب إليه ديكرو، في مقابل القول الذي يعدُّ الاستعمال به مخصوص بالجملة وإنجازًا لها وإنَّ هذا الوصف الدلاليّ ضروريٌّ لفهم ما قبل[٣٥].

نخلص من ذلك إلى أنَّ التداوليَّة تهدف إلى وصف قول ما مكوَّن من جانبين أحدهما لغويٌّ، والأخر بلاغيٌّ ((فخرج المكوَّن اللِّساني هو دلالة الجملة من حيث هي كيان مجرَّد يتحقَّق بواسطة القول الذي يمثِّل في حدِّ ذاته نتيجة الحدث التاريخيِّ المتمثِّل في إلقاء القول، أمَّا المكوِّن البلاغيُّ فدخله هو خروج المكون اللِّسانيِّ بالإضافة إلى ملابسات إلقاء القول، أمَّا خروجه فمعنى القول))[٣٦]. إذن

---

٣١ ريبول, القاموس الموسوعي للتداولية, ٢٧.
٣٢ صحراوي, مسعود .التداولية عند العلماء العرب, ط١ بيروت-لبنان: دار الطليعة, (٢٠٠٥), ٤١.
٣٣ الحباشة, صابر. التداولية والحجاج مداخل ونصوص دمشق – سوريا: صفحات للدراسة والنشر, (٢٠٠٨), ٧٦.
٣٤ عبدالملك, بلخيري. "التداو لية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية," مجلة تاريخ العلوم, العدد١. ٨ (٢٠١٧): ١١٨.
٣٥ بخشوش, كمال "الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية عرض مفهومي لمصطلحي (الحجاج اللغوي و العامل الحجاجي)," مجلة تعليميات, العدد. ٩ (٢٠١٦): ٣٤.
٣٦ بخشوش, ٣٤٠.

فتحليل القول في إطار التداوليَّات المدمجة يكون اعتمادًا على الربط بين جملة من المعطيات اللُّغويَّة التي تعود إلى المكوِّن اللُّغويِّ، وجملة المعطيات غير اللُّغويَّة التي تعود إلى المكون البلاغيِّ[٣٧].

سمات التداوليَّة المدمجة:

للتداوليَّة المدمجة مجموعة من السمات يمكن إجمالها في الآتي[٣٨].

إنَّ اللسان وضع لغاية تواصليَّة حجاجيَّة، وليس لإيصال المعلومات؛ لأنَّ معنى القول يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعمليَّة قوله.

وجود شروط لغويَّة دقيقة تعمل على تسلسل الأقوال وتعاقبها بحسب ائتلاف المكوِّنات البنيويَّة للخطاب، أي إنَّ اللسان لا يمثِّل مجموعة من الإمكانات النحويَّة.

عند دمج الدلالة بالتداوليَّة فإنَّ معنى قول ما يحتوي جانبين، الجانب الأوَّل دلالة التراكيب اللُّغويَّة(الجملة)، والآخر دلالة القول المجال (البلاغيّ والتداوليّ).

العلاقة بين الأقوال ليست استنتاجيَّة، بل حجاجيَّة.

فالتداوليَّة المدمجة تهتمُّ بالمستويين اللُّغويِّ والبلاغيِّ، إذ تعمل في المستوى اللُّغويِّ على تحليل الوحدات التركيبيَّة بما فيها من تراكيب/ من أدوات ربط، وحذف، وتأكيد، وعطف...إلخ، في المؤثِّرات المعنويَّة والدلاليَّة، وفي المستوى الآخر تحلّ علاقة الدلالة بالمقام وما بينهما من علاقات، كما تعمل على إثارة السياقات خارج النص[٣٩].

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقيَّة:

بدأ البحث في ذكر الآية الأولى من سورة النساء والتي لا تشتمل على لفظ اليتيم إلَّا أنَّها تدلُّ دلالة واضحة وحجَّة قاطعة على البشريَّة بأنَّ الله ﷻ خلق الناس من أصل واحد فلا تمايز بين البشر في الخلق، وهي حجَّة لمحو التفاضل والتكامل للناس فيما بينهم، وأنَّ كلَّ إنسان له العيش مثل الآخرين، وأن يحصل على حقوقه.

ورد لفظ (اليتيم) في القرآن الكريم ثلاث وعشرين مرة في اثنين وعشرين آية، وقد رتبت

---

٣٧ بوناب إبتسام و حايف آمال, "التداولية المدمجة ودورها في تعليم نشاط فهم المنطوق لتلاميذ السنة الأولى أبتدائي" (جامعة محمد خضير, ٢٠١٩), ٢٢.

٣٨ ريبول, القاموس الموسوعي للتداولية, ٨٤_٨٥.

٣٩ الطبلة, محمد سالم. الحجاج في البلاغة المعاصرة, ط٢ بنغازي، ليبيا: دار الكتب الجديدة المتحدة, (٢٠٠٨), ١٩٣_١٩٤.

الآيات بحسب الحقوق التي أوجب الله ﷻ منا الالتزام بها.

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

الآية المباركة تدعو إلى تقوى الله سبحانه وتعالى في أمر أنفسهم وهم متَّحدون في الحقيقة الإنسانيَّة، بلا فارق بين ذكر أو أنثى، صغير أو كبير، ضعيف أو قويّ، فلا يوجد تعدِّي في المجتمعات الملتزمة بالقانون الربانيّ[٤٠]، على الناس أن تخشى ولا تخالفه فيما أمر به أو نهى عنه، وذلك في الترغيب والترهيب، والبرهان[٤١].

افتُتحت الآية المباركة بحرف النداء (يا)، وهو نداء العام، وقد ذكر معها لفظة الرب(اتَّقوا ربكم)؛ ((لانَّ لَفْظَ النَّاسِ جَمْعٌ دَخَلَهُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ فَيُفِيدُ الِاسْتِغْرَاقَ ...وأَنَّهُ تَعَالَى عَلَّلَ الْأَمْرَ بِالِاتِّقَاءِ بِكَوْنِهِ تَعَالَى خَالِقًا لَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذِهِ الْعِلَّةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلِقُوا بِأَسْرِهِمْ، وَإِذَا كَانَتِ الْعِلَّةُ عَامَّةً كَانَ الْحُكْمُ عَامًّا))[٤٢], والآية الكريمة فيها الخطاب الحجاجيّ موجَّه إلى العامَّة من الناس، ومقتضى الأمر أنَّ الله سبحانه وتعالى (خلقكم من نفس واحدة)، وهي الحجَّة الأولى على البشريَّة ودلالة على قدرة الله ﷻ على خلق العباد من أصل واحد، وهي نفس أبينا آدم عليه السلام[٤٣]، والحجَّة الثانية: أنَّه ﷻ ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، التي تدلُّ على قدرة الباري ﷻ على هذا النمط من الخلق وبيان القدرة العظيمة له سبحانه وتعالى، والحجَّة الثالثة: ﴿بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾، التي تدلُّ على أنَّ الله سبحانه وتعالى قادراً على كلِّ شيء، هذه الحجج التي تؤدِّي إلى نتيجة ذكرت في بداية الآية (اتَّقوا ربَّكم)، وهذه الحجج ربطت فيما بينها كلّها بواسطة الرابط الحجاجيّ حرف العطف(الواو) الذي يقوم بالربط والوصل بين جملتين, ويعمل على ترتيب الحجج ونسجها ضمن خطاب متكامل ومتناسق, ويجعل الجملة مترابطة بنحوٍ يبعدها عن الانفصال وعدم الانسجام، والذي يفيد الترتيب بين الحجج، وتُشارك بين شيئين، وهو من روابط التساند الحجاجيّ.

---

٤٠ الطباطبائي, محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, (١٤١٧هـ), ٤/ ١٣٤.

٤١ م القاسمي, حمد جمال الدين .محاسن التأويل, تحقيق. محمد باسل عيون السود, ط١ بيروت: دار الكتب العلمية, (١٤١٨), ٣/ ٥.

٤٢ الرازي, فخر الدين .مفاتيح الغيب (التفسير الكبير), ط٣ بيروت: دار إحياء التراث العربي, (١٤٢٠هـ), ٩/ ٤٧٥.

٤٣ البغوي, الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي), تحقيق. عبد الرزاق المهدي, ط١ بيروت: دار إحياء التراث العربي, (١٤٢٠هـ), ١/ ٥٦١.

أوَّلًا: حقُّ المال:

المال في اللُّغة والاصطلاح: يُطلق على المال في اللُّغة كلُّ ما تملَّكه الإنسان، وسُمِّيَ بذلك لكونه مائلًا أبدًا وزائلًا؛ ولذلك سُمِّيَ عرضًا، وهو مفرد، جمعه(أموال)، يجوز فيه التذكير والتأنيث، فيُقال: هو مال، وهي مال، وأصل)مول(، ثُمَّ أميلت واوه؛ فصار)مال(، ويرى ابن فارس أنَّ الميم والواو واللام كلمة واحدة، وهي)تموَّل) الرجل اتَّخذ مالًا[٤٤]، وقيل ما يُملك من الذهب والفضَّة، ثُمَّ أُطلق على كلِّ ما يقتني من الأعيان، وأكثر ما يُطلق عند العرب على الإبل؛ لأنَّها كانت أكثر أموالهم[٤٥].

والمراد بالمال في الاصطلاح: هو((ما يميل إليه الطبع ويمكن ادِّخاره لوقت الحاجة))[٤٦].

وقد ورد حق المال في تسع آيات (الأنعام:١٥٢)، و(الإسراء:٣٤)، (البقرة:١٧٧)، و(الكهف:٨٢)، و(الحشر:٧)، والنساء(٢/ ٦/ ١٠/ ١٢٧)).

في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء:٢)، الخطاب في الآية المباركة جاء عامًّا لكلِّ من عنده أموالٌ لليتامى، سواء أكان وصيًّا عليهم أو وليًّا، أو ممَّن يتولَّى قسمة الميراث، أو ممَّن أخذ أموالهم بغير حقٍّ، وهم كلٌّ من الأولياء، والأوصياء والولاة، والقضاة، وهي أوَّل ما أوصى الله ﷻ به من حقوق الخلق في هذه السورة[٤٧].

(وآتوا) فعل أمر ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، وهو من الأفعال التوجيهيَّة التي وردت في الآية المباركة (آتوا، تتبدَّلوا، تأكلوا)، الغاية المتضمِّنة في القول منه هي حمل المستمع على أن يجعل سلوكه يضاهي المحتوى القضويّ، وهو الرغبة في جعل المتلقِّي أن يفعل الفعل الموجَّه إليه[٤٨]. وأن يلتزم بأن يعطي أموال اليتامى متى ما بلغ اليتيم مرحلة الرشد، (ولا تتبدَّلوا): إنَّ التبدُّل والاستبدال

٤٤ ابن فارس, مقاييس اللغة, ٢٨٦.

٤٥ ابن الأثير, مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري النهاية في غريب الحديث والأثر, تحقيق. طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي بيروت: المكتبة العلمية, (١٩٧٩), ٣/ ٣٧٣.

٤٦ محمد أمين, حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار, ط٢ مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, (١٩٦٦), ٤/ ٥.

٤٧ القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, تحقيق. أحمد أطفيش و البردوني إبراهيم دار الكتب المصرية, (١٩٦٤), ٨/ ٥.

٤٨ جون سيرل,اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي, ترجمة. صلاح فضل, ط١ القاهرة: المركز القومي للترجمة, (٢٠١١), ١٨٣.

يعني أخذ شيء مكان شيء آخر غيره، فلا تأخذوا الحرام من أموالهم بدل الحلال من أموالكم[٤٩]. فالغاية المراد تحقيقها متضمِّنة في النتيجة المضمرة في نهاية الآية المباركة ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ أي الإثم العظيم عند الله سبحانه وتعالى، وكانت الحجَّة الأولى في قوله تعالى ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ إلزام العباد بوجوب الحفاظ على أموال اليتامى وإيتائها لهم عند البلوغ، والحجَّة الثانية في ذلك أنَّه يحرَّم على الأولياء أن يستبدلوا أموال اليتامى بأموالهم، سواء كان ذلك بأخذ أموال اليتامى دون مقابل والاستغناء بها وتوفير أموالهم، أو بإعطاء اليتامى الرديء وأخذ الجيِّد من أموالهم أو العكس بإعطائهم الجيد وأخذ الرديء، ومع إنَّ هذا قد يبعد إلَّا أنَّه أيضًا لا يجوز لأنَّ مال اليتيم في يد الوصي أو الولي بحكم الأمانة يجب عدم التعرُّض له، والحجَّة الثالثة تحريم القصديَّة في أكل أموال اليتامى وضمِّها إلى أموال الأوصياء والأولياء، وكان للرابط الحجاجي(الواو) دورًا أساسيًّا في ترتيب الحجج من الحجَّة الأضعف إلى الأقوى وهو من روابط (التساند الحجاجيّ) الذي يمل على ربط حجَّتين أو أكثر لهما التوجُّه الحجاجيّ نفسه؛ للتأثير في المتلقِّي وإقناعه بالنتيجة(حوبًا كبيرًا)أي الإثم العظيم.

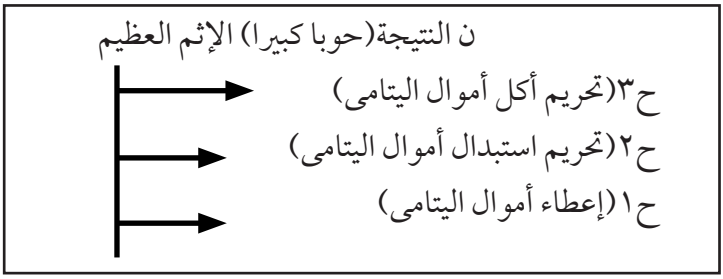

شكل(١):يوضح ن النتيجة(حوبا كبيرا) الإثم العظيم

وورد أيضاً في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء:١٠)

الآية المباركة تشير إلى قضية مهمَّة جدًا في الحياة ألا وهي (أكل مال اليتيم)، إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنَّما يأكلون في بطونهم (ملء بطونهم) نارًا أي ما يجر إلى النار وسيصلون سعيرًا سيدخلون نارًا وأي نار، ورد عن رسولنا الكريم (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنَّه قال: لما أسري بي إلى السماء رأيت قومًا تقذف في أجوافهم النار وتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أنَّ آكل مال اليتيم يجئ يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتَّى يخرج لهب النار من فيه يعرفه أهل الجمع أنَّه آكل مال اليتيم، ورد

٤٩ الطبري, أبو جعفر. جامع البيان في تأويل القرآن, تحقيق. أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة, (٢٠٠٠), ٧/ ٥٢٦.

عن أمامنا الصادق عليه السلام إنَّ آكل مال اليتيم سيلحقه وبال ذلك في الدنيا والآخرة[٥٠].

الآية الكريمة ابتدأت بالجملة الإسميَّة (إنَّ الذين) الدالَّة على تأكيد الاستقرار في أنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا يأكلون نارًا، وقد عبَّر عنها بالأكل؛ لأنَّه معظم الأشياء التي كان يمتلكها اليتامى عبارة عن الأنعام التي تؤكل لحومها وتشرب ألبانها، ثُمَّ وردت الجملة الفعليَّة(يأكلون) الدالَّة على أكل أموال اليتامى التي ستؤدِّي بهم إلى جهنم (أكل النار المجازي)، وجملة(سيصلون سعيرًا) أكل النار الحقيق، فلمَّا ذكر الجملة الفعليَّة من دون حرف الاستقبال (السين) كان الأكل للنار مجازًا، ولمَّا ذكره كان أكل النار حقيقة، والأفعال القضويَّة التي تشير إلى الإحالة الخارجيَّة وهم (الذين، يأكلون، وبطونهم، سيصلون) التي تشير إلى أولياء اليتامى، وأموالهم.

واشتملت الآية الكريمة على قوَّة إنجازيَّة مباشرة بتحريم أكل مال اليتيم، وأن أكله يؤدِّي إلى أن يدخل جهنَّم ويصلى سعيرًا، وأمَّا القوَّة الإنجازيَّة غير المباشرة فتمثَّلت بالترهيب والتحذير من أكل أموال اليتامى، وما هذا إلَّا لإقناع المتلقِّي بالابتعاد عن هذه التصرُّفات التي تؤدِّي به إلى الهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

والحجاج في الآية المباركة جاء بواسطة أداة القصر (إنَّما) وهو عامل لغويٌّ/ كلاميٌّ يجعل عمل الخصم الكلاميّ يسير في الاتِّجاه الذي يرسمه له[٥١]، فإنَّ الحجاج في الآية المباركة قيَّدت وحصرت الإمكانات الحجاجيَّة في أكل أموال اليتيم بأنَّها نار وهذه هي النتيجة التي أرادت تحقيقها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢)، وقوله تعالى:﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤)

توصي الآيتان المباركتان الأوصياء على اليتامى بضرورة المحافظة على أموال اليتيم، من خلال عدم المساس بها أو الاقتراب منها، إلَّا ما فيه مصلحة ومنفعة تؤدِّي إلى زيادة وتنمية هذا المال، كما يجب أن يكون الإنفاق بقدر الحاجة الضروريَّة إلى أن يبلغ اليتيم مرحلة الرشد، ثُمَّ أشارت الآية الكريمة الأولى إلى أحكام الكيل والميزان وأحكام البيع والشراء، والأمر بالمعروف؛ لارتباطها

٥٠ الكاشاني, الفيض . التفسير الصافي مؤسسة الهادي بقم و مكتبة الصدر بطهران(د.ت) ١/ ٤٢٦_٤٢٥.
٥١ حنون, الحِجَاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام, ١٣٤.

المباشر بموضوع اليتيم، إذ يجب أن يكون الوصيُّ على اليتيم يمتلك هذه الصفات الحسنة، وكلا الآيتين أشارت إلى ضرورة المحافظة على العهد.

افتتحت الآيتان الكريمتان بأسلوب الإنشاء بصيغة النهي(ولا تقربوا) والنهي يراد به الوعظ والتخويف من التلاعب بأموال اليتيم، وقوله تعالى(إلَّا بالتي هي أحسن) قصر بصيغة النفي والاستثناء وهو من أبلغ أنواع القصر وأكثرها قوَّة؛ حتَّى يكون رادعًا لكلِّ من تسوِّل له نفسه أكل أموال اليتيم، وهو من الأساليب الحجاجيَّة التي تعمل على حصر الإمكانات الحجاجيَّة وتوجيهها باتِّجاه يحقِّق غاية المتكلِّم، وهو محاولة التأثير بالمتلقِّي وإقناعه بالنتيجة التي يروم تحقيقها، والمتمثِّلة في الآية الكريمة في قوله تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم).

ثانياً: حق الكفالة والإكرام وعدم القهر:

الكرم والقهر في اللُّغة والاصطلاح: الكَرَمُ: ضِدُّ اللُّؤمِ، والكَرَمُ شَرَفُ الرَّجُلِ، ويأْتي الكَرَمُ بِمعنى العِزَّةِ والرِّفْعَةِ، وأَكْرَمَ الشَّخْصَ: إذا رَفَعَ شَأْنَهُ وفَضَّلَهُ[٥٢]، وهو الإنفاق عن طِيب خاطر، والجود دون انتظار مقابل.

والقهر معناه الغلبة وهو مصدر، وصيغة المبالغة منه القهار[٥٣]، وهو استعلاء بعض الناس على بعضهم من دون حق.

الكَفالةُ لُغةً: الالتزامُ والضَّمُّ، وأصلُ الكَفالةِ يدُلُّ على تضَمُّنِ الشَّيءِ للشَّيءِ[٥٤]، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران: ٣٧)، وفي الاصطلاح: ضم اليتيم والإنفاق عليه والقيام بمصالحه وشؤونه.

وردت الكفالة والإكرام وعدم القهر في ثلاث آيات (الضحى(٦،٩)، والماعون(٢)، والفجر(١٧))، وقد أمرنا الله ﷻ في دينه الإسلام إلى ضرورة مُعاملة اليتيم بالحُسنى، بالنهي عن قَهره، وكَسر ما في خاطره، والعمل على إكرامه، والرَّفْع من شأنه، والتلطُّف به.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر:١٦-١٧) كان ضعفاء الإيمان من الناس يعتقدون أنَّ كرامة الإنسان في الدنيا

٥٢ ابن منظور, لسان العرب, ٧/ ٣٦٨١.
٥٣ ابن فارس, مقاييس اللغة, ٥/ ٣٥.
٥٤ الفراهيدي, الخليل بن أحمد .العين, تحقيق. إبراهيم المخزومي, مهدي السامرائي .دار ومكتبة الهلال,(د.ت) ٥/ ٣٧٣.

التنعيم بالنعم، والحرمان منها شقاء وتعب، ولا يرون أنَّ حال الكرامة تكون بالتقرُّب من الله ﷻ بالإيمان به والعمل الصالح سواء أكان الإنسان غنيًّا أم فقيرًا، فجاءت الآية المباركة ردًّا لقولهم هذا والمعنى ليس كما تقولون وإنَّما إيتاؤه تعالى النعمة وإمساكه عنه كلّ ذلك ابتلاء وامتحان يختبر به حال الإنسان من حيث عبوديته[٥٥].

افتتحت الآية المباركة(١٧) بحرف ردع وزجر(كلا)، و(بل) للإضراب، ثُمَّ حرف النفي (لا) غير عامل، وبل كما قلنا حرف إضراب وله حالتان، الأولى: أن يكون بعده جملة فيكون إضرابًا عما قبلها إمَّا على جهة الإبطال، وإمَّا على جهة الترك للانتقال من غير إبطال ويكون للتنبيه، والثاني: أن يكون ما بعده مفرد فيكون حرف عطف للإضراب[٥٦]، وفي الآية الكريم نلحظ أنَّ الرابط الحجاجيَّ (بل) ربط بين حجَّتين، الحجَّة الأولى ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾، والحجَّة الثانية ﴿لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، والحجَّتان لهما التوجُّه الحجاجيُّ نفسه وهو (أنتم تجاوزتم العمل الصالح بالظن بالله سبحانه وتعالى) ووصفه لهم متغيِّر بتغيير الجملة الفعليَّة (تكرمون اليتيم) فلو عملتم على إكرام اليتيم لكن هو العمل الصالح الذي يؤدِّي إلى التنعيم في الحياة، وليس ظنُّكم، وهذه هي النتيجة التي أراد الله سبحانه وتعالى من عباده الالتزام بها.

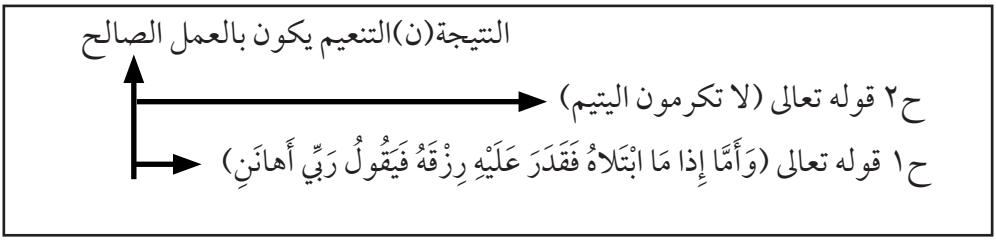

شكل (٢): يوضح النتيجة(ن)التنعيم يكون بالعمل الصالح

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى:٦-٧-٨-٩).

الآية المباركة تعرض لمجموعة من النعم التي أنعم الله (سبحانه وتعالى) بها على نبينا مُحَمَّد(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) منذ ولادته؛ ليدلَّ على عظيم العناية به، وديمومة هذه العناية الإلهيَّة إذ إنَّه بعين الله ﷻ التي لا تنام، وهذا وعد الله ﷻ أي هو وعد جار على سنن ما سبق من عنايته بك

٥٥ الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٢٠/ ٢٨٣.
٥٦ المرادي, أبو محمد قاسم بن عبدالله. الجنى الداني, تحقيق. محمد قباوة, فخر الدين نديم, ط١ بيروت-لبنان, (١٩٩٢), ١/ ٢٣٥_٢٣٤.

من مبدأ النشأة ولطفه بك في الشدائد باطِّراد[٥٧].

الاستفهام في الآية المباركة تقريريّ والهمزة جاءت لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه، إذ إنَّ إنكار النفي إثبات، والغاية منه التقرير، أي إقرار المخاطب به، وكأنَّه يقول: وجدك يتيمًا فآوى، وهي من الوجود بمعنى العلم والمنصوبان ضمير المخاطب، و(يتيمًا) مفعول وجد، وقيل أنَّه بمعنى ألفى وصادف الذي يتعدَّى إلى مفعول واحد وهو (ضمير المخاطب) ويتيمًا حال من مفعوله[٥٨], والمراد من اليتيم وجودك وحيدًا بين الناس فآوى الناس إليك وجمعهم حولك، ولمَّا قيل للإمام جعفر بن مُحَمَّد الصادق(عليهما السلام) لمَ أوتمَ النبيُّ(صلَّى الله عليه وآله وسلّم) من أبويه؟ فقال: لئلَّا يكون لمخلوق عليه حقٌّ[٥٩].

وقوله تعالى: ((ووجدك ضالًّا فهدى)) المراد بالضلال هنا عدم الاهتداء والمراد بكونه (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ضالًّا حاله في نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى له (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ولا لأحد من الخلق إلَّا بالله سبحانه فقد كانت نفسه في نفسها ضالَّة وإن كانت الهداية الإلهيَّة ملازمة لها منذ وجدت، وقيل لمَّا وجدك تبحث عنه أو طالبًا له فهداك إليه[٦٠].

وقوله تعالى:﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ العائل الفقير الذي لا مال له وقد كان (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) فقيرًا لا مال له فأغناه الله بعد ما تزوَّج بخديجة بنت خويلد عليهما السلام فوهبت له مالها وكان لها مال كثير، وقيل المراد بالإغناء استجابة دعوته[٦١].

وقوله تعالى:﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ القهر الغلبة والتذليل معًا ويستعمل في كلِّ واحد منهما، الفاء الأولى فصيحة و(أمَّا) حرف تفصيل وشرط وتوكيد وتقدير، وقد صدر بها الكلام؛ لتفصيل مجمل الشكر على النعمة، وهي بمعنى مهما يكن من شيء؛ لذلك قرن جوابها بالفاء[٦٢].

نلحظ أنَّ الحجاج في الآيات المباركة مبني على حجج ثلاث الأولى(ألم يجدك يتيمًا)، والثانية(وجدك ضالًّا)، والثالثة، (وجد عائلًا)، هذه الحجج مترابطة فيما بينها بواسطة الرابط

٥٧ ابن عاشور, الطاهر. التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور) تونس: الدار التونسية, (١٩٨٤), ٣٠/ ٣٩٩.
٥٨ العمادي, أبي السعود محمد بن محمد. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم), ط١ المطبعة المصرية, (١٩٢٨), ٣٠/ ٣٩٩.
٥٩ الشاهرودي, علي النمازي. مستدرك سفينة البحار قم: اسماعيليان(د.ت), ١٠/ ٥٨٥.
٦٠ الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٢٠/ ٤١٠.
٦١ الطباطبائي, ٢٠/ ٣١٠.
٦٢ ابن عاشور, التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور), ٣٠/ ٤١٠.

الحجاجيّ الواو الذي يعمل على ترتيب الحجج التي تؤدِّي إلى نتيجة واحدة (روابط التساند الحجاجيّ)؛ لأجل إقناع المتلقِّي والتأثير فيه؛ لتحقيق النتيجة التي يريد المتكلِّم تحقيقها وهي في الآيات الكريمة (النهي عن قهر اليتيم ونهر السائل والتحدُّث بنعم الله ﷻ).

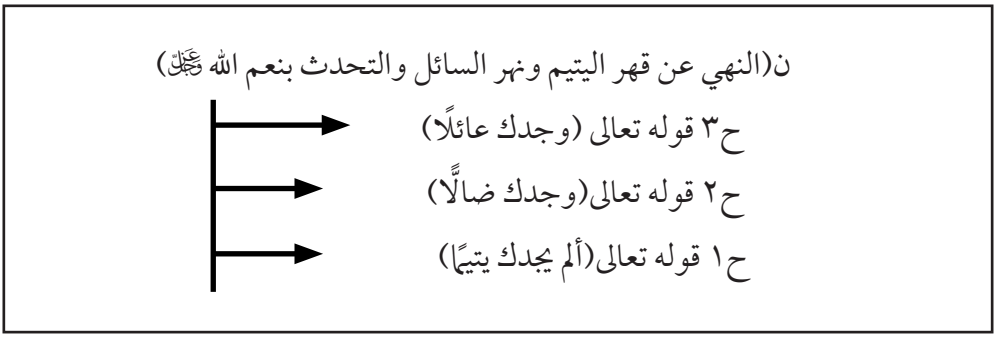

شكل(٣): يوضح ن(النهي عن قهر اليتيم ونهر السائل والتحدث بنعم الله ﷻ)

ثالثاً: حق الإطعام:

الإطعام لُغةً: مفرد جمعه أطعمة، وهو اسمٌ جامِعٌ لكلِّ ما يُؤكَلُ، ويَقَعُ على كُلِّ ما يُساغُ، حتى الماءِ وذَوقِ الشَّيءِ، وفي الاصطلاح ما يَحِلُّ وما يَحرُمُ مِن المأكولِ والمَشروبِ.

ورد حقُّ الإطعام في آيات اليتيم في سورة (الإنسان(٨)، والبلد(١٥))

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٨-٩).

روي في سبب نزول هذه الآية المباركة عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ((كان عند فاطمة (عليها السلام) شعير، فجعلوه عصيدة، فلمَّا أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين: رحمكم الله، أطعمونا ممَّا رزقكم الله، فقام عليٌّ عليه السلام وأعطاه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم، فقال اليتيم: رحمكم الله، أطعمونا ممَّا رزقكم الله، فقام عليٌّ عليه السلام وأعطاه الثلث الثاني، ثُمَّ جاء أسير، فقال الأسير: رحمكم الله، أطعمونا ممَّا رزقكم الله، فقام عليٌّ عليه السلام وأعطاه الثلث الباقي، وما ذاقوها، فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ في أمير المؤمنين عليه السلام. وهي جارية في كلِّ مؤمن فعل مثل ذلك لله ﷻ، بنشاط فيه[٦٣].

٦٣ تفسير علي بن إبراهيم القمي, تصحيح وتعليق طيب الموسوي الجزائري دار ردمك للنشر,(١٤٠٤هـ), ٢/ ٣٩٨.

نلحظ أنَّ إطعام اليتيم كان حجَّة من الحجج لمرضاة الله ﷻ ووسيلة من وسائل التقرُّب والدخول إلى الجنَّة، وما هذا العمل إلَّا حافزاً يدفع بالمتلقِّي لأن يحذوا في هذه الاتِّجاه، وأن يسلك المسلك الحسن في التعامل مع اليتيم عن طريق الإطعام.

والآيات المباركة تتحدَّث عن إخبار الله ﷻ لنا بالصفات التي يمتاز بها الأبرار، إذ إنَّهم يوفون بما أوجبوه على أنفسهم، وأنَّهم يؤدُّون ما أوجبه الله ﷻ عليهم بأصل الشرع، وبما أوجبوه على أنفسهم بالنذر، ويطعمون الطعام وهم في محبَّة له وشغف به، مع اشتهائه والحاجة إليه، والإطعام أشرف أنواع الإحسان، وقد عبَّر عنه بصيغة الجملة الفعليَّة؛ للدلالة على استمرارية قيامهم بهذه الأفعال دون انقطاع، والإخباريَّات هي أحد أنواع الأفعال الكلاميَّة التي تعمل على نقل المتكلِّم لأحواله وأخباره بواسطة التركيز على قضية ما، وتكون ذات صبغة صادقة أو كاذبة، ولها معاني مباشر كالوصف والإخبار، ومعاني غير مباشرة كالمدح والوعد والوعيد وغيرها، ويعدُّ القرآن الكريم شاهدًا أساسيًّا في نقل أخبار الأنبياء(صلَّى الله عليهم) وكيفيَّة تبليغهم الرسالات السماويَّة، والتي زالت بزوال العصور[٦٤], والمقصود من ذلك كلّه توجيه المخاطب وإمالته والتأثير فيه وإقناعه بالنتيجة التي يروم تحقيقها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾(البلد:١١-١٨) .

الآيات المباركة أيضًا إخبار عن أن إطعام اليتيم وسيلة من وسائل اقتحام العقبة، التي تساءل عنها القرآن الكريم في قوله تعالى ((وما أدراك ما العقبة) بصيغة الاستفهام التصوُّريِّ مستعملاً الاسم الدالَّ على الذات (ما)؛ محاولاً لفت الأنظار إلى تلك العقبة من جهة، والإجابة عنها من جهة أخرى[٦٥] ,فعمد إلى بيان السبل التي تؤدِّي لاقتحام تلك العقبة وهي الطريق الوعر الذي فيه صعود من الجبل[٦٦]، بوسائل ثلاث، الأولى (فكُّ رقبة)، والثانية(إطعام اليتيم أو المسكين)، والثالثة أن يكون مؤمنًا(الإيمان).

٦٤ صباح, سوسن. "أفعال الكلام في سورة مريم" جامعة عبد الرحمن ميره,(٢٠١٧) ٨٨.
٦٥ أحمد الهاشمي, جواهر البلاغة (مصر: المكتبة العصرية, ٢٠١٧), ٢٧.
٦٦ الطباطبائي, الميزان في تفسير القرآن, ٢٠/ ٢٩٢.

فالآيات المباركة في معرض الحديث عن مجاهدة النفس والهوى في إعمال البركة (الإنفاق)، إذ من الصعب على الإنسان مجاهدة نفسه وهواه والشيطان عدوَّه، فيعلِّمنا القرآن الكريم طريقة مجاهدة هذه النفس والابتعاد عن الأعمال الشيطانيَّة بواسطة الحجج التي أوردها الله ﷻ في هذه الآية المباركة، الحجَّة الأولى(فكُّ رقبة) أي عتقها وتحريرها، والحجَّة الثانية (إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا ذا مقربة) أي يتيم مقرَّب إليك بالنسب، والحجَّة الثالثة (مسكينًا ذا متربة) أي المسكين الذي التصق بالتراب لفقره، والحجَّة الرابعة أن يكون هؤلاء من (الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)؛ حتَّى تتحقَّق الغاية المرجوَّة منك وهي النتيجة (التغلُّب على العقبة).

نلحظ أنَّ الرابط الحجاجيَّ الذي عمد إلى ربط الحجج فيما بينها هو (أو) وجاء هنا حرف عطف يفيد التخيير، أي اختيار الأعمال الواردة حتَّى تستطيع التغلُّب على هذا العدوِّ الموجود لديك، ثمَّ أعقبه برابط حجاجيٍّ آخر وهو(ثُمَّ) وهو من روابط التساند الحجاجيِّ الدالِّ على التشريك في المعنى والترتيب وهما حرفا عطف يفيدان التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين.

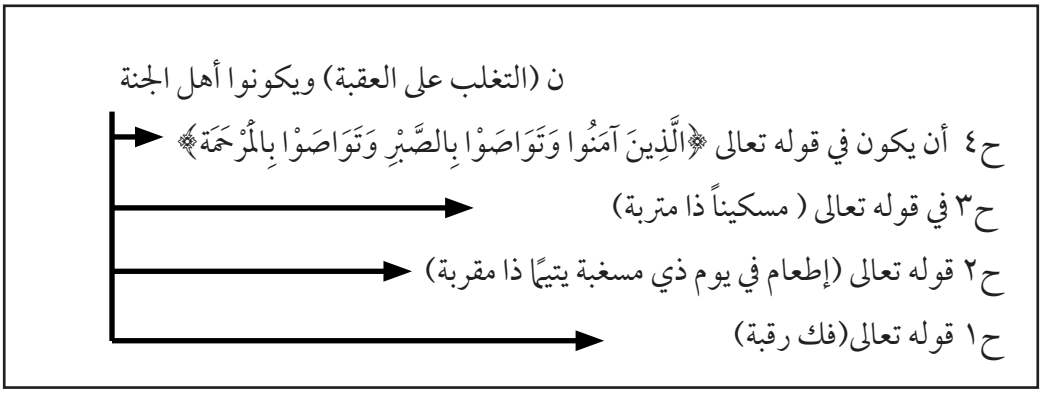

شكل(٤): يوضح ن (التغلب على العقبة) ويكونوا أهل الجنة

رابعاً: حقُّ الإحسان والإصلاح : الإحسانُ ضِدُّ الإساءةِ، وهو فِعلُ ما ينبغي أن يُفعَلَ من الخيرِ، وهو فِعلُ ما ينفَعُ غيرَه بحيثُ يصيرُ الغيرُ حَسَنًا به، كإطعامِ الجائعِ، أو يصيرُ الفاعِلُ به حَسَنًا بنفسِه، وقيل الإحسان يعمُّ كلَّ إحسان قوليٍّ وعمليٍّ، وفيه النهي عن الإساءة، لأنَّ الأمر بالشيء نهي عن ضدِّه، والإحسان ضدَّان: الإساءة وهي أعظم جرمًا، وترك الإحسان بدون إساءة، وهو محرَّم ولكن لا يجب أن يلحق بالأوَّل[٦٧].

٦٧ السعدي, عبد الرحمان بن ناصر. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان, ط٢ السّعوديّة: دار ابن الجوزي, (١٤٢٦هـ),٤٩_٥٠.

ورد في سورة(البقرة:٨٣) (النساء: ٣٦).

قال تعالى: ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة:٨٣)، وقوله تعالى:﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦).

تشير الآية المباركة الأولى إلى أنَّ ميثاق الله ﷻ أُخذ على بني إسرائيل على ألسنة أنبيائهم الذين يذكِّرونهم بما أمر الله ﷻ به جميع خلقه بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وهي دليل على قسوتهم، فما من أمر أُمروا به إلَّا استعصوا، فلا يقبلونه إلَّا بالأيمان الغليظة والعهود الموثقة، وفي الميثاق أُمروا بالإحسان إلى اليتامى، وهو حسن تربيتهم والرأفة بهم والحضِّ على كفالتهم وحفظ أموالهم[٦٨]، وفيها من التوبيخ والتقريع لبني إسرائيل، فضلًا عن فضح أساليبهم بنقض تلك المواثيق والعهود.

والآية الثانية تتحدَّث عن التوحيد العمليِّ لله (سبحانه وتعالى) من الإتيان بالأعمال الحسنة طلبًا لمرضاة الله ﷻ وابتغاء الحصول على ثواب الآخرة من دون اتِّباع الأهواء وعدم اتِّخاذ شريك معه.

والنتيجة التي تريد الآية الأولى الالتزام بها هي (أخذ الميثاق من بني إسرائيل على عبادة الله ﷻ وحده، والقيام بالأعمال الصالحة ومنها الإحسان إلى اليتامى) والنتيجة التي تريد تحقيقها الآية الثانية هي(بيان حقوق الله ﷻ وحقوق الخلق على الناس ومنها الإحسان إلى اليتامى) والآيتان كلاهما يشترك في حجَّة (حقِّ الإحسان إلى اليتامى) وسيلة من الوسائل التي تؤدِّي إلى مرضاة الله ﷻ.

وقد رتَّب الله ﷻ مواطن الإحسان من الأهمِّ إلى المهم فبدأ (بالوالدين وذي القربى)؛ لأنَّ الإنسان متعلِّق بأبويه ومن ثمَّ أرحامه، وهي الحجَّة الأولى على الناس في بناء الأسرة، ثُمَّ انتقل إلى (اليتامى) وهم الأحقُّ بالإحسان؛ لصغرهم وفقدانهم لمن يقوم بأمرهم، وانتهى بـ(المساكين) في الآية الأولى وهم الفقراء المعدمون الذليلون[٦٩]، وأكمل الترتيب في الآية الثانية، وقد ربطت هذه الحجج بالرابط الحجاجيِّ الواو الذي يعمل على ترتيب الحجج التي تؤدِّي إلى نتيجة واحدة (روابط

٦٨ القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, د.ت., ٢/ ١٤.
٦٩ الطباطبائي, مختصر تفسير الميزان, تحقيق مصطفى شاكر, ط٢ (قم: انتشارات أنوار الهدى, ٢٠٠٠), ٢٢.

التساند الحجاجيِّ)، وهي الالتزام بالأعمال الصالحة التي تؤدِّي إلى مرضاة الله ﷻ، وقد اكتفينا بإيراد الحجج الأولى التزاماً منا بالبحث حول (اليتيم) فقط.

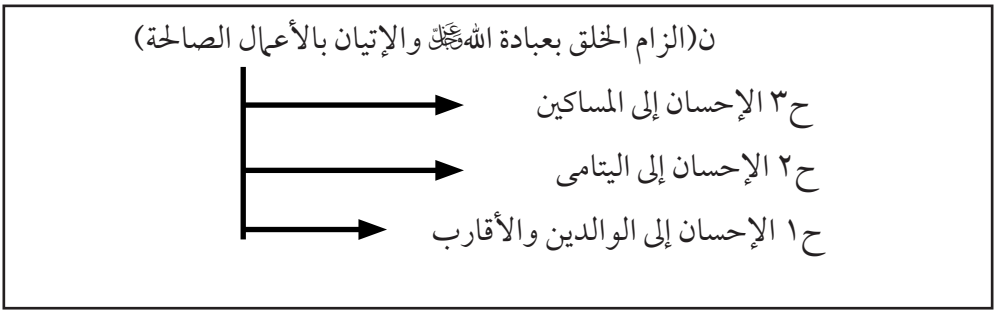

شكل(٥): يوضح ن(الزام الخلق بعبادة اللهﷻ والإتيان بالأعمال الصالحة)

وفي قوله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٠).

أشرنا في الآية الأولى من هذا البحث عن سبب وضعها أنَّ الله ﷻ خلق الناس جميعًا بصورة واحدة من دون أن يكون هناك مائز، وهذه الآية المباركة تأكيدًا ودليلاً على ما ذكرناه، من حيث أجازت مخالطة اليتامى، والإصلاح بينهم بحسب الحقيقة لا الصورة، أي معادلة بين اليتيم الضعيف والولي القويّ، وإلغاء الامتيازات التي تعدُّ مصدرًا للفساد والاستعباد والاستذلال، فالمؤمنون إخوة [٧٠]، فالحجَّة الأولى الإصلاح لليتامى أي مداخلتهم لإصلاحهم، والثانية مخالطتهم أي أنَّهم إخوانكم في الدين ومن حقِّ الأخ أن يخالط الأخ، فالحجَّتان يؤدِّيان إلى النتيجة (يسألونك عن اليتامى).

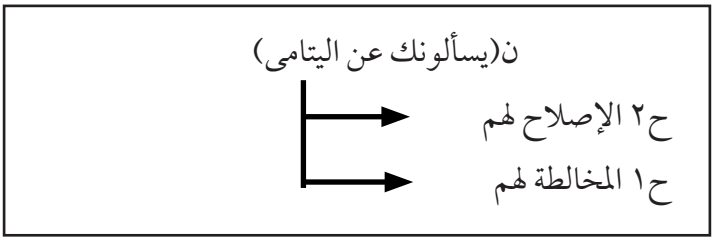

شكل(٦): يوضح ن(يسألونك عن اليتامى)

٧٠ الطباطبائي, ٤٩.

خامساً: حقُّ العدل:

العدل لغة: عدل يعدل عدلًا، وهو مأخوذ من مادة "ع د ل" التي تدلُّ على الاستواء، وهو خلاف الجور، ما قام في النفوس أنَّه مستقيم [٧١] [٧٢].

اصطلاحاً: قال الجرجانيّ::((الأمر المتوسِّط بين الإفراط والتفريط، فالعدالة في الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحقِّ بالاجتناب ممَّا هو محظور دينًا((٧٣]،العدل عندنا من أصول الدين وأهمّ الصفات الإلهيَّة التي أكدَّت عليها الآيات والروايات وبهذه الصفة تثبت النبوَّة والإمامة والمعاد كأ حد أدلَّتها وإن كانت هناك أدلَّة أخرى عليها. قال العلَّامة الحلي:((اعلم أنَّ هذا الأصل [العدل] عظيم تبتني عليه القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقًا، وبدونه لا يتمّ شيء من الأديان))[٧٤].

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء:٣). كان أهل الجاهليَّة تعمد إلى كفالة اليتيمات، بعد ذلك يتزوجون بهن، ثمَّ يطمعون فيهن ويستغلون ضعفهن، فينكحوهن من غير صداق أو بمصداق أقلِّ ممَّا هو متعارف عند النساء الأخريات، وقد يتركونهن من دون سبب، فلم يكونوا يعطونهن ما يليق بهن-بوصفهن زوجات- بل حتَّى كبقية النساء العاديات من الاحترام والمكانة، إذ نزلت هذه الآية المباركة توصي أولياء اليتيمات الذين يرغبون الزواج بهن أن يعطوهن الحقوق وأن يعدلوا فيهن، وإلَّا فليتزوجوا من غيرهن.

فالقصر بـ(إلا) عمل على تقليص الإمكانات بالذين يخافون العدل باليتيمات خوفاً من عدمه، فلا تعتدوا على حقوقهن، ويجب إعطاؤهن الحقوق الكاملة.

سادساً: حقوق مشتركة:

وردت عدّة حقوق في آية واحدة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء:٨).

---

٧١ الفراهيدي, العين, ٢/ ١١.
٧٢ ابن فارس, مقاييس اللغة, ٤/ ٢٤٦.
٧٣ الشريف الجرجاني, التعريفات, تحقيق. مجموعة من العلماء بإشراف دور النشر بيروت: دار الكتب العلمية, (١٩٨٣), ١٥٣.
٧٤ العلامة الحلي, نهج الحق وكشف الصدق موقع واي باك مشين, (٢٠١٦), ١/ ٧٢.

الآية المباركة تشير إلى مسألة مهمَّة في الحياة الاجتماعيَّة وهي عمليَّة تقسيم الميراث سواء أكان من قبل الموصي أم من قبل الورثة، فإذا شهد قسمة الميراث(أولو القربى) أي فقراء قرابة الميت[٧٥]، والذين يمثِّلون الحجَّة الأولى، و(اليتامى) أي ويتاماهم يمثِّلون الحجَّة الثانية، و(المساكين) الذين يمثِّلون الحجَّة الثالثة، وجب رزقهم من الميراث والتعامل معهم بلطف، وهذه النتيجة التي تريد الآية المباركة الالتزام بها، وقد جاء الرابط الحجاجيّ الواو رابطًا بين هذه الحجج .

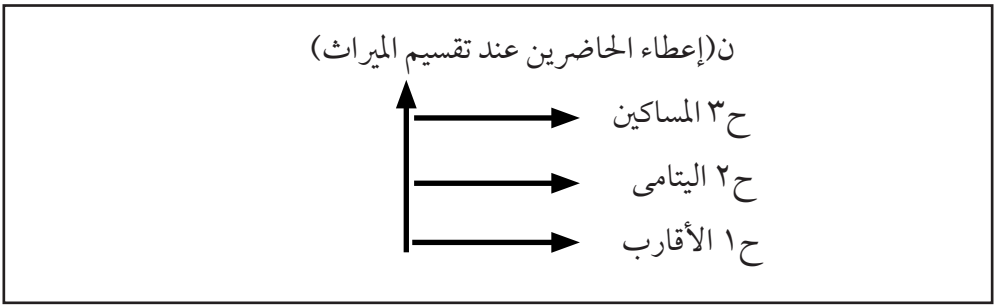

شكل(٧): يوضح ن(إعطاء الحاضرين عند تقسيم الميراث)

٧٥ الطبرسي, مجمع البيان في تفسير القرآن, تحقيق. لجنة من العلماء مؤسسة الأعلمي للمطبوعات(د.ت.), ٣/ ٢٣_٢٤.

الخاتمة:

أهمُّ النتائج التي توصَّل إليها البحث:

١. كان للتداوليَّة المدمجة أثر كبير في الكشف عن معاني الخطاب في الآيات المباركة ما كان منها ظاهراً أو مضمراً بواسطة الاعتماد على قصد المتكلِّم ومقوله وحجاجه.

٢. كان للروابط الحجاجيَّة أثرٌ كبيرٌ في توجيه الحجج نحو النتيجة التي تريد الآية المباركة تحقيقها، إذ ورد ثلاثة روابط (الواو ، أو ، بل) وكان أكثر الروابط الحجاجيَّة حضورًا هو الرابط(الواو)

٣. كان للقصر دور في حصر الإمكانات الحجاجيَّة وتقيدها، وتوجيه المتلقِّي نحو النتيجة.

٤. الحقوق التي وردت في الآيات المباركة والواجب علينا الالتزام بها تجاه اليتيم هي حقوق (المال، الكفالة والإكرام وعدم القهر، الإطعام، الإحسان والإصلاح، والعدل).

٥. حقُّ المال من أكثر الحقوق التي أمر الله ﷻ عباده الالتزام بها وإعطاءها إلى ذويها(اليتيم).

٦. كلُّ ما ورد في حقوق اليتيم كان حجَّة على المتلقِّي، يؤدِّي الالتزام بها إلى نتائج عدّة أهمُّها الالتزام بما أمر الله (سبحانه وتعالى) به والابتعاد عمَّا نهى عنه.

المصادر:

القرآن الكريم

آن ريبول وجاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل. ترجمة مُحَمَّد دغفوس, سيف الدين الشيباني. بيروت: المنظمة العربية للترجمة, ٢٠٠٣.

أجوبة السيد السيستاني في باب أحكام اليتيم. النجف الأشرف: مكتب البيت العالمي للمعلومات, د.ت.

أمين, مُحَمَّد. حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار. ط٢. مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده, ١٩٦٦.

ابن الأثير, مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري. النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود مُحَمَّد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية, ١٩٧٩.

ابن عاشور, الطاهر. التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور). تونس: الدار التونسية, ١٩٨٤.

ابن منظور. لسان العرب. د.ط. دار صادر, د.ت.

اجعيط, نور الدين. الوظائف التداولية للخطاب السياسي وأبعادها الحجاجية. إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث, ٢٠١٦.

"الاستدلال الحِجَاجي وآليات اشتغاله." مجلة عالم الفكر, العدد٢. ٤٠ (٢٠١٢).

البغوي, الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). تحقيق عبد الرزاق المهدي. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٤٢٠هـ.

الجرجاني, الشريف. التعريفات. تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف دور النشر. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٨٣.

الجرجاني, عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر أبو فهر. مطبعة المدني بالقاهرة, ١٩٩٢.

الجزائري, طيب الموسوي, تصحيح وتعليق. تفسير علي بن إبراهيم القمي. دار ردمك للنشر, ١٤٠٤هـ.

الحباشة, صابر. التداولية والحجاج مداخل ونصوص. دمشق – سوريا: صفحات للدراسة والنشر, ٢٠٠٨.

الرازي, فخر الدين. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٤٢٠هـ.

الراضي, رشيد. المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية. ط١. الدار البيضاء–المغرب: المركز الثقافي العربي, ٢٠١٤.

الزبيدي. تاج العروس من جوهر القاموس. تحقيق مجموعة من المختصين. الكويت, ١٩٦٥.

السعدي, عبد الرحمان بن ناصر. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان. ط٢. السّعوديّة: دار ابن الجوزي, ١٤٢٦هـ.

الشاهرودي, علي النمازي. مستدرك سفينة البحار. قم: إسماعيليان, د.ت.

الصبيحي, مُحَمَّد الأخضر. مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه. ط١. الجزائر: الدار العربية للعلوم,٢٠٠٨.

الطباطبائي. مختصر تفسير الميزان. تحقيق مصطفى شاكر. ط٢. قم: انتشارات أنوار الهدى, ٢٠٠٠.

الطباطبائي, مُحَمَّد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ١٤١٧هـ.

الطبرسي. مجمع البيان في تفسير القرآن. تحقيق لجنة من العلماء. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, د.ت.

الطبري, أبو جعفر. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر. مؤسسة الرسالة, ٢٠٠٠.

الطبلة, مُحَمَّد سالم. الحجاج في البلاغة المعاصرة. ط٢. بنغازي، ليبيا: دار الكتب الجديدة المتحدة, ٢٠٠٨.

العزاوي, أبو بكر. اللغة والحجاج. الأزبكية: منتدى سور, د.ت.

العزاوي, أبو بكر من المنطق إلى الحجاج. إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث, ٢٠١٦.

العلامة الحلي. نهج الحق وكشف الصدق. موقع واي باك مشين, ٢٠١٦.

العمادي, أبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم). ط١. المطبعة المصرية, ١٩٢٨.

الفراهيدي, الخليل بن أحمد. العين. تحقيق إبراهيم المخزومي, مهدي السامرائي. دار ومكتبة الهلال, د.ت.

القاسمي, مُحَمَّد جمال الدين. محاسن التأويل. تحقيق مُحَمَّد باسل عيون السود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤١٨هـ.

القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد أطفيش و البردوني إبراهيم. دار الكتب المصرية, ١٩٦٤.

القرطبي, أبو عبد الله. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي, د.ت.

الكاشاني, الفيض. التفسير الصافي. مؤسسة الهادي بقم و مكتبة الصدر بطهران, د.ت.

المبخوث, شكري. نظرية الحجاج في اللغة,بحث ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف حمادي صمود. تونس: منشورات كلية الآداب منوبة, د.ت.

المرادي, أبو مُحَمَّد قاسم بن عبدالله. الجنى الداني. تحقيق مُحَمَّد قباوة, فخر الدين نديم. ط١. بيروت–لبنان, ١٩٩٢.

النّاصح, عزّ الديّن. العوامل الحِجَاجية في اللغة العربية. ط١. تونس _صفاقس: دار نهى, مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر, ٢٠١١.

الهاشمي, أحمد. جواهر البلاغة. مصر: المكتبة العصرية, ٢٠١٧.

بخشوش, كمال. "الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية عرض مفهومي لمصطلحي (الحجاج اللغوي و العامل الحجاجي)." مجلة تعليميات, العدد٩. (٢٠١٦).

ابن فارس, أحمد. مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر, ١٩٧٩.

بوناب إبتسام و حايف آمال. "التداولية المدمجة ودورها في تعليم نشاط فهم المنطوق لتلاميذ السنة الأولى ابتدائي." جامعة مُحَمَّد خضير, ٢٠١٩.

جمال,تسنيم مُحَمَّد. "حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي." جامعة النجاح, ٢٠٠٧.

جون سيرل. القصدية (بحث في فلسفة العقل). ترجمة أحمد الأنصاري. لبنان: دار الكتاب العربي, ٢٠٠٩.

جون سيرل .اللغة والعقل والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي. ترجمة صلاح فضل. ط١. القاهرة: المركز القومي للترجمة, ٢٠١١.

حامد, سعيد فراغلي. "تحليل آيات الترغيب في الإيمان بالله في ضوء التداولية المدمجة." مجلة كلية الآداب, ٢٠٢٢.

حنون, عايد جدوع. الحِجَاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام. ط١, الإصدا. العتبة الحسينية المقدسة: مؤسسة وارث الأنبياء,٢٠١٧.

ريبول,جاك موشلار وآن. القاموس الموسوعي للتداولية. ترجمة مجموعة من الباحثين إشراف عز الدين مجدوب. تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة, ٢٠١٠.

صباح, سوسن. "أفعال الكلام في سورة مريم." جامعة عبد الرحمن ميره, ٢٠١٧.

صحراوي, مسعود. التداولية عند العلماء العرب. ط١. بيروت–لبنان: دار الطليعة, ٢٠٠٥.

عبدالرحمن, طه. اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي. ط١. بيروت–لبنان: المركز الثقافي العربي, ١٩٩٨.

عبدالملك, بلخيري. "التداولية المدمجة مقاربات في المنهج والنظرية." مجلة تاريخ العلوم, العدد١. ٨ (٢٠١٧).

Jaques Moeshler.Anne Reboul. Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique. Paris: Ed Le seuil, n.d.